أمـــن

أما الأمن(١) فمطمئن فى مصر أشد مايكون الأمن اطمئنانا فى بلد من البلاد ! وأما النظام فمستقر فى مصر أحسن مايكون النظام استقرارا فى قطر من الأقطار . وليس أدل على اطمئنان الأمن واستقرار النظام من أن رئيس الوزراء يصطاف ويستشفى فى أوربا ، ومن أن مدير الأمن العام كان يستريح فى رودس وقد عاد ليستطيع وكيل الأمن العام أن يستريح ، لاأدرى فى أى جزيرة من الجزر ، أو فى أى إقليم من الأقاليم السبعة كما كان يقول الجغرافيون القدماء ، ومن أن وكيلا من وكيلى الداخلية قد سافر ليستريح كما يصطاف وزير الداخلية ويعمل ويستريح .

ولو قد كانت فى مصر آية ولو يسيرة تدل على فساد الأمن واضطراب النظام لا ستقر هؤلاء السادة فى مدينة القاهرة ليشرفوا من كثب على كل شيء ، ويدبروا من كثب كل شيء . ومادامو قد تفرقوا على هذا النحو ، وذهبوا فى الأرض هذه المذاهب المختلفة فمصر بخير والحمد لله ، لاخطر فيها على الأمن ولا على النظام .

وهناك أخبار تذاع وأنباء تشارع ، والوزارة عنها صامتة ساكتة ، ولاتقول ولاتهم بأن تقول . وأكبر الظن أنها تزدرى هذه الأخبار وتحتقر هذه الأنباء ، ولاتعنى حتى بتكذيبها أو نفيها ، فضلا عن أن تلتمس لها التفسير والتعليل . فالصحف تنبئنا بأن بعض العمد يقتلون على أبواب دورهم آخر النهار وأول الليل فتصطبغ أرض مصر الطاهرة بدمائهم البريئة بينما تودع الشمس آفاق السماء فتترك فى مصر حزنا هادئا يمتزج به فى مصارع هؤلاء الناس حزن عنيف عميق . والصحف تنبىء بأن قوما يقتلون على الطريق العام وهم عائدون إلى دورهم فى الشرقية ، لاينتظرون الموت ولايخشونه ، ولكن الموت كان ينتظرهم ويكمن لهم فى بعض الوجوه والأنحاء . والصحف تنبئنا أيضا بأن قرى تختصم على الرى فيطلق بينها الرصاص ويصرع قوم ، منهم من يدنو من الخطر ، ومنهم من يكاد يدنو منه ، ومنهم من تصيبه جراح إن لم تكن مهلكة ولامشرفة بصاحبها على

---

(١) كوكب الشرق فى ٢١ – ٧ – ١٩٣٣

الموت ، فهى مؤذية مؤلمة ، مؤذنة بأن الناس لايتحرجون من أن يترامواً بالرصاص ، ويدعو بعضهم الموت إلى بعض .

ثم تنبئنا الصحف أيضا بأن وزارة الداخلية التى أذنت لأحد وكيليها بالرحلة وللآخر بالعمل على ساحل البحر ، والتى أذنت لمدير الأمن العام بنزهة قصيرة ولوكيله بإجازة لابأس بها ، تنبئنا الصحف بأن هذه الوزارة قد ألغت فى القطر كله إجازات المأمورين والذين يشغلون مناصب الحكمدارين . وقدنشرت الصحف هذا النبأ مرة ومرة ، فلم تنكره الوزارة ولم تكذبه ولانصف تكذيب .

والصحف تنبئنا أيضا بأن مظاهرات ومناورات عسكرية تنظمها الشرطة فى مدينة الاسكندرية فتروع الناس وتلفت نظر الجمهور ، وتحمل الاسكندريين حين يرون هذه المظاهرات والمناورات والمصريين حين يقرأون أنباءها على أن يتساءلوا : فيم هذه المناورات والمظاهرات ، أو فيم هذا التمرين والتدريب ، فيقال لهم – بهذا الفعل المبنى للمجهول الذى لايسمى فاعله :إن هذه المظاهرات والمناورات إنما تجرى لتعرف الشرطة كيف تفرق الشعب إذا احتشد ، وتقمع المظاهرات الشعبية إذا هم بها الجمهور .

والصحف تنبئنا بغير هذا ، ومن المحقق أن الصحف لاتعرف كل شىء ، ولاتذيع كل مايصل إليها . فهذا كله لايدل طبعا على اضطراب الأمن ، ولاعلى فساد النظام . وإنما يدل على أن الأمن مستقر هادىء ، وعلى أن النظام مطمئن ثابت ولولا ذلك لما ذهب الوزراء والوكلاء وكبار الموظفين فى الداخلية مذهبهم الذى أشرنا إليه فى أول هذا الفصل .

وهناك دليل آخر لايقبل شكا ولاريبا ، ولايحتمل جدالا ولانزاعا . وهو يثبت لكل ذى عقل – ومأأقل أصحاب العقول – أن الأمن لم يطمئن فى يوم من الأيام كما اطمأن فى هذا الصيف . هو مطمئن اطمئنانا يدفعه إلى أن ينام ملء جفونه ، لاتوقظه طلقة نار ، ولاوقع عصى ،ولا ينبهه اعتداء، ولا مايشبه الاعتداء . وهذا الدليل الساطع القاطع هو هذا الثناء الجميل الجزيل الذى صاغ منه مكاتب الديلى تلغراف باقة أنيقة رشيقة ، وقدمها فى ظرف ولطف إلى وزير الداخلية بعد أن نال زملاءه جميعا وفى مقدمتهم رئيس الوزراء بما يكرهون ! فمكاتب الديلى تلغراف يشهد لوزير الداخلية بأنه رجل الساعة ، بل رجل اليوم ، بل رجل الغد القريب والبعيد ، لأنه صان الأمن والنظام ، وضبط الأمر فأحكم ضبطه ، وأكره الجهات المختلفة على أن تؤمن له بالتفوق والمقدرة والنبوغ !!

ومكاتب الديلى تلغراف لم يرسل هذا الكلام إرسالا ، ولم يخترعه من عند نفسه اختراعا . وأكبر الظن أن المصدر الموثوق به الذى أنبأه بأن الوزراء جميعا يخافون من ظلالهم إلا وزير الداخلية فهو وحده الذى يخيف الناس ، وهو وحده الذى يخيف الظلال . ومادام هذا المصدر موثوقا به فيما تحدث فيه من أمر الوزارة والوزراء ، وفيما تحدث فيه من ضياع هيبة الحكومة لأن الوزراء يخافون من ظلالهم ، وفيما تحدث فيه من الحماقة وحدها هى التى أقصت عن هذه الوزارة القائمة وزيرين خطيرين ، وفيما تحدث فيه من أن التغيير قد أصبح فرضا مفروضا وحتما محتوما . مادام هذا المصدر موثوقا به أيضا فيما ألقى إلى مكاتب الديلى تلغراف من الشهادة لوزير الداخلية بالمهارة والبراعة وبالكفاية والنبوغ

وأنا أصدق مكاتب الديلى تلغراف وأصدق المصدر الذى ألقى إليه هذه الشهادة . فوزير الداخلية بارع ماهر من غير شك ، ووزير الداخلية كفء نابغة من غير شك . وآية ذلك الآية التى لاينكرها إلا مكابر يحب المراء ، هى أن الظن لم يسؤ باطمئنان الأمن وإستقراره فى مصر كما ساء الآن . فليس مما يدعو إلى حسن الظن باطمئنان الأمن واستقراره أن تذاع أنباء القتل وسفك الدماء جهرة على هذا النحو ، وليس ما يدعو إلى حسن الظن باطمئنان الأمن واستقراره أن تلغى إجازات المأمورين ورؤساء الشرطة فى جميع الأقاليم ، وليس مما يدعو إلى حسن الظن أن لاتكتفى وزارة الداخلية بمنع الاجتماعات السياسية مخالفة فى ذلك الدستور ، بل تتجاوز ذلك إلى منع الاجتماعات الدينية فى المساجد التى أقيمت ليعمرها المسلمون بذكر الله ، والتواصى فيما بينهم بالخير والرشد والمعروف . وليس مما يدعو إلى حسن الظن أن ينشط مدير الأمن العام الأوربى نشاطا غريبا لم يعرف من قبل فيزور المدن ، ويطوف فى الأقاليم على حين يستريح مدير الأمن المصرى فى رودس أو غيرها من جزر البحر .

ليس شىء من هذا كله يدعو إلى حسن الظن بثبات الأمن واستقرار النظام واطمئنان الوزارة على ذلك الأمن وهذا النظام ، وليس مما يدعو إلى حسن الظن بقوة الحكومة وقبضها على أعنة الأمور كما يقولون أن تحاصر الدور ويراقب أعضاء الوفد والمتصلون به ، ويؤخذ الناس من الطريق إلى أقسام الشرطة لأنهم كانوا يمرون قريبا من دار رئيس الوزراء بالنيابة . بلى ، وليس مما يدعو الى حسن الظن باستقرار الأمن والنظام أن يكون الخطف وتسليح القطارات وحفر الخنادق وتسوير المدن بالتراب والسيارات وسيلة إلى المحافظة على الأمن وإلى إقرار النظام .

ومع ذلك فهذا كله قد كان ، وهذا كله استحدثه وزير الداخلية القائم ، فإذا لم يكن هذا كله دليلا على أن وزير الداخلية القائم قد زعزع رأى الناس من المصريين والأجانب فى اطمئنان الأمن ، واستقرار النظام ، فأى دليل آخر تريد ؟

وإذا لم يكن هذا كله حجة صادقة قاطعة على أن وزير الداخلية القائم قد ظفر بأعظم حظ ممكن من المهارة والبراعة ، ومن التفوق والنبوغ فأى حجة أخرى تريد ؟ لقد صدق مكاتب الديلى تلغراف وصدق المصدر الذى ألهمه وأوحى إليه ، فوزير الداخلية رجل عظيم ولكن عظمته هذه تجعل استقالته كاستقالة زملائه شيئا مرغوبا فيه كل الرغبة ، بل شيئا لابد منه إذا كان يراد بمصر أن يحسن الظن بها وبوزارتها ، وألا يذاع عنها فى أقطار الأرض أنها موطن الفزع والخوف وأن الوزراء فيها يخافون من ظلالهم وأن إجازات المأمورين ورؤساء الشرطة فيها تلغى طول فصل الصيف .

إن الذين يحبون هذا البلد ويحرصون على أن يستقر فيه الأمن حقا ، ويطمئن فيه النظام حقا ، ويعرف الناس عنه أنه بلد الهدوء والسلام خليقون أن يفكروا وأن يسرعوا فى التفكير ولا ينتظروا به فصل الخريف ، فإن هذه الوزارة لم تبلغ مداها فحسب ، بل بلغته منذ زمن بعيد وجاوزته منذ زمن بعيد ، وعجزت عجزا تاما عن أيسر ماوجدت من أجله الحكومات وهو تأمين الناس على دمائهم وأموالهم ، وأصبحت تقبض على أعنة الأمور بيد مرتخية شديدة الارتخاء ، ولاتستطيع لها تدبيرا ولاتصريفا . وإذا لم تكن هذه الوزارة نفسها محسة لهذا العجز ، أو شاعرة به فإن الناس من المصريين والأجانب يعلنون ذلك ويلحون فى إعلانه وهى عاجزة حتى عن نفى مايعلنون .

أما بعد ، فليس يعنينا أن يكون المصدر الذى أوحى إليه موثوقا به أو مشكوكا فيه ، وإنما الشيء الذى يعنينا ويعنى الذين يحبون مصر حقا هو أن عجز الوزارة قد أصبح أوضح من أن يشار إليه ، وأن تغييرها أمر لابد منه مهما يقل القائلون ويكابرون.